

انعكاسات الحروب البونيقية على بلاد المغرب القديم (264-146 ق.م)

Reflexions of the Punic Wars on Ancient Maghreb (264-146 BC)

عبد الوهاب كيدار¹ * صبيحة أوكيل²

¹ مخبر الدراسات التاريخية للوطن العربي عبر العصور، جامعة عمار ثليجي، الأغواط، الجزائر
a.kidar@lagh-univ.dz

² مخبر الدراسات التاريخية للوطن العربي عبر العصور، جامعة عمار ثليجي، الأغواط، الجزائر
s.oukil@lagh-univ.dz

تاريخ الإرسال: 2025/05/25 تاريخ القبول: 2025/06/18 تاريخ النشر: 2025/06/30

الملخص:

خاض الرومان في البحر المتوسط عددا من الحروب لفرض نفوذهم في المنطقة ومنازعة القرطاجيين على مناطق النفوذ، وبلغ عددها ثلاثة حروب امتدت من (264-146 ق.م) وتأثرت خلالها المنطقة بمجملها بمجريات الاحداث إقليمياً وسكاناً، وظهرت انعكاسات الحروب خلال الحرب الأولى في حملة ريغولوس ومانيلوس وكذا نتائج الحرب وما انجر عنها من أحداث مثل ثورة النوميدي، بينما أثرت الحرب الثانية على المنطقة خاصة حيث ابرمت فيها تحالفات بين الملوك النوميدي وأطراف الصراع، بالإضافة الى نزول قوات سكيبيو الى شمال افريقيا، والمعارك التي خاضها الرومان في المنطقة مثل معركة زاما 202 ق.م، وما ترتب عنها في النهاية سقوط قرطاجة في الحرب الثالثة، وآخر نقطة أظهرت انعكاسات الصراع كانت دخول الرومان الى بلاد المغرب.

وتهدف هذه الدراسة إلى إظهار انعكاسات الصراع الروماني القرطاجي على بلاد المغرب أفراداً وإقليمياً، خاصة وأن لكل مرحلة من مراحل الصراع نتائج مباشرة مثل ثورة المرتزقة وتمرد النوميدي واستغلال "ماسينيسا" لبند استرجاع اراضي أجداده من قرطاجة في ضم اغلب الاراضي القرطاجية وغير مباشرة مثل سقوط قرطاجة ووقوع المغرب في يد روما في النهاية.

الكلمات المفتاحية: الحروب البونيقية؛ الرومان؛ النوميديون؛ القرطاجيون؛ المغرب القديم.

Abstract:

The Romans fought a number of wars in the Mediterranean to impose their influence in the region and dispute the Carthaginians over areas of influence. The number of wars reached three wars that extended from 264-146 BC), During which the region as a whole was affected by the course of events in the region and population, and the repercussions of the wars appeared during the first war in the campaign of Regulus and Manilus, as well as the results of the war and the events that resulted from it, such as the Numidian Revolution, while the second war affected the region in particular, as alliances were concluded between the Numidian kings and the parties to the conflict, in addition to the landing of Scipio's forces to North Africa, and the battles that the Romans fought in the region, such as the Battle of Zama in 202BC , and what ultimately resulted in the fall of Carthage in the Third War, and the last point that showed the repercussions of the conflict was the entry of the Romans into the Maghreb.

This study aims to show the repercussions of the Roman-Carthaginian conflict on the Maghreb, individuals and regions, especially since each stage of the conflict has direct consequences, such as the mercenary revolution, the Numidian rebellion, and Masinissa's exploitation of the clause of recovering his ancestral lands from Carthage in annexing most of the Carthaginian lands, and indirect results, such as the fall of Carthage and the fall of Morocco. In the hands of Rome in the end.

Keywords: Punic Wars; Romans; Numidians; Carthaginians; Ancient Maghreb.

مقدمة:

تعرف الحرب بالصراع المسلح بين قوتين، والعالم القديم عرف عددا من الحروب والصراعات التي قامت على مناطق النفوذ والمصالح المتضاربة، والبحر الأبيض المتوسط لطالما كان مسرحا للصراعات والحروب ومنها الحروب البونيقية التي قامت بين روما المدينة الناشئة وقرطاجة سيدة البحر الأبيض المتوسط، وفي جولاتها الثلاث أحداث ومتغيرات أثرت على ضفتي البحر المتوسط وغيّرت الخريطة الجيوسياسية للمنطقة والمغرب القديم على وجه الخصوص، والاشكالية المطروحة: ماهي تداعيات الحروب البونيقية على المغرب القديم؟

2. تداعيات الحرب الأولى (264-241 ق.م):

قامت الحرب البونيقية الأولى بين روما وقرطاجة التي أخذت على نفسها مهمة الدفاع عن المستوطنات الفينيقية في البحر الأبيض المتوسط، وكانت صقلية مسرحاً للصراع الذي عرف أحداثاً عديدة وأثرت على شمال افريقيا وسندرجها فيما يأتي:

أ. حملة "ريغولوس" و"مانيلوس":

جهّزت روما في خضم صراعها مع قرطاجة في المرحلة الأولى حملة لمحاصرة قرطاجة في عقر دارها بقيادة القنصلين "ريغولوس" و"مانيلوس"، وتجمعت السفن في رأس "هيرمس" (Hermès)¹، وتوجهت الى قرطاجة في 256 ق.م، وقد كبّدت هذه الحملة قرطاجة خسائر فادحة، حيث عاد القنصل "مانيلوس" محملاً بالغنائم²، في حين بقي "ريغولوس" محاصراً المدينة بجيش يصل الى خمسة عشر ألف جندي³، ولكن قرطاجة استطاعت فك الحصار في 255 ق.م بالاستعانة بمرتزق إسبرطي اسمه "كسانتيبوس" (Xanthippus)⁴.

وقد تأثرت المنطقة بهذه الحملة فقد استغل النوميدي حملة "ريغولوس" كغطاء للدخول إلى الأراضي القرطاجية⁵، لذلك انتهزت قرطاجة الفرصة بعد انتصارها على روما بقيادة "عزر بعل"

و"قرتلون" في سنة 249 ق.م، وأخذت تتوسع على حساب الاراضي النوميديّة عقابا لتعاونهم مع القائد الروماني "ريغولوس"⁶.

ولكن قرطاجة خسرت الحرب الأولى ووقعت على هدنة مع روما في سنة 241 ق.م، وتخلت على صقلية نهائيا والجزر الواقعة بينها وبين شبه جزيرة إيطاليا، ومنذ ذلك الوقت فقدت قرطاجة السيادة على البحر المتوسط وأصبحت روما قوة جديدة مهيمنة عليه⁷.

ب. ثورة النوميدي:

انتهت الحرب البونيقية الأولى بهزيمة قرطاجة، ولكن تطورات الأحداث التي خلفتها خسائر قرطاجة في هذه الحرب زادت من ثقل الأمر عليها، حيث ثار النوميديّ ضدها كما ثار عليها الليبيون في إفريقيا، وقد ردت قرطاجة بقوة على هذا التمرد الذي أطلق عليه البعض حرب لا مبرر لها (La Guerre Imexpiable) ورجّحت ان سببها التسيير السيئ للخزينة بعدما عجزت عن دفع رواتب الجنود⁸، وقامت بفرض ضرائب على السكان المحليين لتسديد ديونها بعد أن أبرمت معها روما معاهدة جديدة تقضي بدفع 32000 تالنت، وخسارتها لصقلية وسردينيا وكورسيكا، كما أن "هملكار" قام بعد قضائه على فلول الجنود المرتزقة وقتل قادتهم، عاقب كامل القرى والمدن الليبية والنوميديّة التي تعاونت معهم وقد اجتاحت كامل المنطقة الشمالية حتى اقترب من سيرتا وعاد محملا بالغنائم⁹.

3. تداعيات الحرب الثانية (218-201 ق.م):

اندلعت الحرب البونيقية الثانية بعد دخول حنبعل الى مدينة ساغنتوم واستنجد هذه الأخيرة بروما فكان ذلك دافعا للرومان لإعلان الحرب التي كان للنوميديّ مساهمة فيها وكان لها تداعيات على المنطقة نورد أهمها فيما يأتي:

أ. نزول جيش "سكيبو" لشمال افريقيا:

نزل "سكيبو" في سنة 204 ق.م بجيشه قرب "رأس الطيب" وأقام معسكره على الساحل، ثم استولى على المرتفعات المجاورة، ثم توجه بعد أيام نحو مدينة "أوتيكا"¹⁰، وقد التحق "ماسينيسا"¹¹ بجيش "سكيبو" ومعه ألفي فارس حسب "تيت ليف"¹²، كما سارعت قرطاجة لتجهيز جيش لمواجهة "سكيبو" بقيادة "صدر بعل"، وتم الاتصال بالملك "سيفاكس"¹³، وحدث الاشتباك بين الطرفين في منطقة "سلايكا" (Salaeca)¹⁴ وانتهى بتفوق الرومان⁽¹⁵⁾ ومقتل القائد "حنون" والكثير من أتباعه، كما أسر حوالي ثمانمائة من العبيد والأحرار، فتمكن "سكيبو" من دخول "سلايكا" والمناطق المجاورة لها، وذلك بمساعدة "ماسينيسا" الذي قام باستدراج الخصم إليها¹⁶، وترك بها حاميات رومانية كما حمل الغنائم على متن السفن ونقلها إلى "صقلية"¹⁷.

بعد معركة "سلايكا" وحصار "أوتيكا" الذي كان برا وبحرا لمدة 40 يوما من قبل "سكيبو"، وبعد فك الحصار قرّر الهجوم على معسكر أعدائه، فخرج وجنوده في جنح الليل، وقاموا بإضرام النار في معسكر "صدر بعل" وحليفه "سيفاكس" بأمر من "كايس لايوس" (Caius Laelius) وهلك غالبية الجنود والبقية ماتوا على يد "ماسينيسا" الذي تمركز مع جيشه خارج المعسكر¹⁸، وعلى إثر ذلك تقلصت قوة "صدر بعل" و"سيفاكس"، ولم يبق من قوتهم إلا ألفين من المشاة وخمسمائة فارس¹⁹.

ويظهر دور "ماسينيسا" والجنود النوميديين البارز منذ البداية في ترجيح الكفة لصالح روما، ويشير "بوليبوس" إلى الخدمات التي قدّمها "ماسينيسا" في وضع الترتيبات الأخيرة للخطة نظراً لأنه كان يعرف المنطقة الافريقية التي كان الرومان مجهولوها²⁰، ونظراً للانتصارات التي حقّقها "سكيبو" في الأراضي القرطاجية طلبت قرطاجة من "حنبل" العودة للدفاع عن المدينة، فنزل في صائفة 203 ق.م في مالطة ومنها توجه إلى "حضر موت"²¹ ليعدّ للمعركة²².

ب. معركة السهول الكبرى (203 ق.م):

انتهر "سيفاكس" فرصة غياب ماسينيسا وهاجم ماسيليا وامتدّ بمملكته إلى غاية "سيرتا" عاصمة الماسيل ووحّد المملكتين²³، ولذلك جمع "ماسينيسا" أنصاره وقضى على "لاكوماز" وهدد قرطاجة، التي كلفت "سيفاكس" لرد تلك الاعتداءات وهو بدوره كلّف قائده "بوكار" (Bucar)، وانتصر بعد مباغتته لـ"ماسينيسا" حتى اعتقد بأنه قد مات ولكنه اختفى عن الأنظار لتلتأم جراحه، وعاد واحتل المنطقة الواقعة بين بونة وسيرتا وبدأ زحفه نحو الغرب، فاستعد له "سيفاكس" وابنه "فرمين" (Vermina) وانتصرا عليه وتراجع إلى السرت في ليبيا²⁴.

كانت المواجهة الموالية بين "ماسينيسا" و"سيفاكس" في معركة السهول الكبرى في منتصف أفريل 203 ق.م، حيث كان النصر حليف "ماسينيسا"، ما جعل "سيفاكس" ينسحب من المواجهة ولكن "ماسينيسا" لاحقه لكي لا يجمع قواته من جديد، وهاجم مدينة سيرتا عاصمة "سيفاكس" الشرقية وانهمز "سيفاكس" في المعركة في 23 جوان 203 ق.م، ووقع أسيراً في يد "ماسينيسا"²⁵ الذي سلّمه لـ"سكيبو"²⁶، وبذلك خلا الجو لـ"ماسينيسا" واستطاع أن يجمع الأجزاء الضائعة من مملكته، وبعد أن فرّ "فرمين" الذي فشل في استرجاع مملكة أبيه احتل "ماسينيسا" كامل مازيسيليا إلى غاية نهر ملوبة²⁷، ووحّد مملكة نوميديا في 203 ق.م²⁸.

ج. دور "ماسينيسا" في معركة "زاما"²⁹:

استدعت قرطاجة "حنبل" للدفاع عنها ونزل في "حضر موت" وبها أعدّ لمعركة "زاما" (19 أكتوبر 202 ق.م)، وقد ساعد ماسينيسا في ترجيح الكفة لصالح روما بداية بالتخلص من الفيلة التي اعتمدها "حنبل" في المقدمة، فقد أشار ماسينيسا على "سكيبو" بإحداث فجوات واسعة بين صفوفها وبث الذعر فيها بقرع الطبول، ثم تنظيم حركة التفاف عندما ترجع على أعقابها وتشتت الجيش، بالمقابل يستغل "سكيبو" الفرصة ويهاجم "حنبل" وجيشه، ولذلك انهمز هذا الأخير وعلى إثر ذلك اضطرت قرطاجة إلى القبول بمعاهدة زاما في 201 ق.م³⁰.

وعلى اثر ذلك الانتصار جاءت معاهدة زاما بمجموعة من البنود التي غيرت الأوضاع بشكل كبير وأثرت على المغرب بطريقة غير مباشرة فقرطاجة التي كانت تمثل القوة الإقليمية في البحر الأبيض المتوسط قد كسرت شوكتها ويظهر ذلك في البنود التي مسّت بسيادة قرطاجة على أراضيها مثل البند الذي يقضي بأن لا تدخل في حرب دون موافقة روما، أما البند الذي استفاد منه ماسينيسا نظير مساعداته لروما فهو استرجاع أراضي أجداده من قرطاجة، وهو البند الذي سيغير الخريطة الجيوسياسية للمغرب³¹.

د. استرجاع "ماسينيسا" أراضي قرطاجة:

انتقلت نوميديا بعد الحرب البونيقية الثانية من حليف لقرطاجة إلى عدو يسهر على مصالح روما في المنطقة، خاصة وان هذه الاخيرة قد منحت "ماسينيسا" حق استرجاع أملاك أجداده، فامتدت على إثر ذلك حدود مملكة نوميديا شرقا وشملت في 170 ق.م حوالي 70 مدينة كانت تحت سيطرة القرطاجيين، كما استولى على المدن الساحلية التجارية الواقعة على الساحل الشرقي بشمال وجنوب قابس والتي كانت تمثل عصب التجارة القرطاجية بين الصحراء الافريقية والمتوسط، وقد كان "ماسينيسا" يهدف من خلال توسعه على حساب قرطاجة من بسط نفوذه عليها وتوحيد بلاد المغرب تحت قيادته، وعلى الرغم من أن "ماسينيسا" كان حليفا لروما إلا أنها كانت تعلم بما يترتب عن تلك المطامح الإقليمية من مخاطر على المصالح الرومانية المتنامية في إقليم البحر الأبيض المتوسط، فكان قرار تدمير قرطاجة يمثل حرمان "ماسينيسا" من أن تصل يده إلى قرطاجة وبالتالي قطع الطريق أمامه³².

4. تداعيات الحرب الثالثة (149-146 ق.م):

جاءت الحرب البونيقية الثالثة تحصيلاً لما قام به ماسينيسا في الأراضي القرطاجية فكان للنوميد دور مهم في قيامها كما كان لها تداعيات على المنطقة ندرجها فيما يأتي:

أ. حصار قرطاجة:

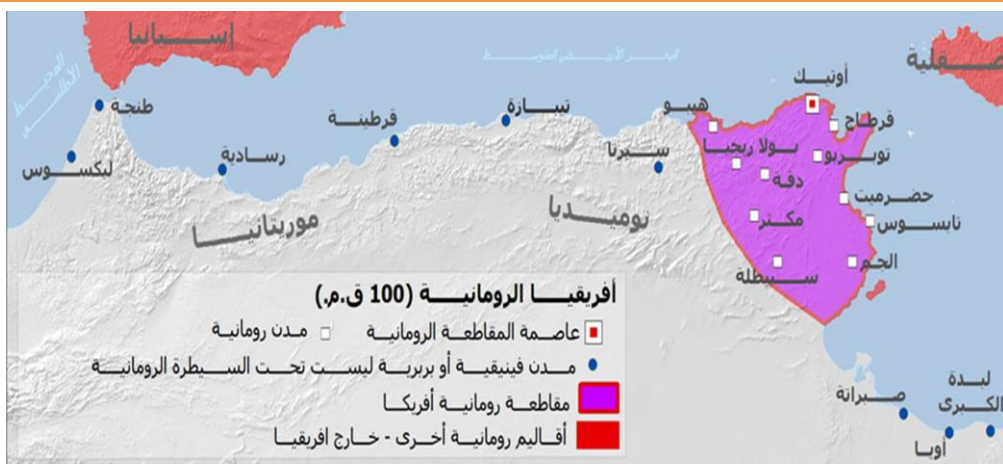
استغل "ماسينيسا" البند الذي يقضي باسترجاع أراضي أجداده من قرطاجة وسعى للتوسع على حسابها، ونظرا لهذه التعديات المستمرة قررت قرطاجة في 150 ق.م الرد على "ماسينيسا" واعتبرت روما ذلك خرقا لبند من بنود معاهدة زاما، وحدث جدل داخل مجلس الشيوخ الروماني ونجح "ماركوس بوركيوس كاتو" (Marcus Porcius Cato) (149-234 ق.م) في اقناع أعضاء مجلس الشيوخ بإعلان الحرب على قرطاجة³³، التي تجهزت للحرب دفاعاً على أراضيها وهو الأمر الذي تذرعت به روما للتدخل سنة 149 ق.م، وهو أن قرطاجة أعلنت حرباً دون استشارة روما التي كانت تراقب أعمال "ماسينيسا" دون أن تحرك ساكناً، وبذلك باتت نوايا روما ظاهرة للعيان بحيث لم تكن تنتظر إلا سبباً مباشراً يمكنها من بسط نفوذها على الأراضي الافريقية.

فأرسل الرومان حملة إلى افريقيا سنة 149 ق.م بجيش يتألف من 80.000 من المشاة وما يقارب 4000 فارس، فأعلن القرطاجيون قبولهم التفاوض مع ما يترتب عليهم من شروط رومانية، غير أنهم سرعان ما تراجعوا عن ذلك بعد ان اشترطت عليهم روما الخروج من قرطاجة وبناء مدينة جديدة بعيدة عن البحر، فقرروا المواجهة وتحضروا لذلك في مدة قصيرة، لكن "سكيبو الاميلي" استولى على المدينة التي دمرها وأعلنها مقاطعة رومانية³⁴، فبات المغرب بعد سقوط قرطاجة التي كانت تمثل حاجزا في وجه الرومان بابا مفتوحا على مصرعيه للاطماع الرومانية، وكانت بذلك أول مرحلة من مراحل الاحتلال الروماني للمغرب.

ب. سقوط قرطاجة:

حققت روما الكثير من الانتصارات على حساب قرطاجة، وأجبرت "حنبل" على العودة الى إفريقيا لحماية قرطاجة، وانتهت الحرب البونيقية الثانية بمعاهدة قاسية انسحبت بموجبها قرطاجة من إيطاليا وإسبانيا وكورسيكا وسردينيا وصقلية وجنوب بلاد الغال، بالإضافة إلى أنها قامت بتسريح الأسرى وتسليم الأسطول والفيلة، والتزامها بعدم شن أية حرب خارجية دون مشورة روما³⁵.

وقد أتيحت الفرصة لروما التي وفرها حليفها "ماسنيسا" عندما استرجع بعض المدن والقرى النوميديّة التي كانت قد ضمتها قرطاجة، وكان تصدي هذه الأخيرة خرقا لمعاهدة "زاما"، فأعلنت روما الحرب عليها في 149 ق.م وانتهت في 146 ق.م بتدميرها، وقد حوّل "سكيبيو الاميلي" أراضيها الى مقاطعة رومانية (Provincia Africa) وفصلها عن باقي الاراضي النوميديّة بالخندق الملكي، فكانت أولى مراحل الاحتلال التي جعلت روما تضع أقدامها في المغرب بعد أن



شمال افريقيا بعد سقوط قرطاجة

<http://explorethemed.com/RomeAfricaAr.asp>

قضت على سيدة البحر الابيض المتوسط وحلت محلها³⁶. (أنظر الخريطة)

5. مساهمة النوميدي في الحروب البونيقية:

كانت مساهمة سكان المنطقة في الصراع الروماني القرطاجي ملوكا كانوا ام افرادا مساهمة كبيرة في حسم الصراع لصالح طرف على آخر بداية من المجندين في الجيش الى الملوك وتحالفاتهم مع أطراف الصراع:

أ. النوميدي في الجيش القرطاجي:

غيّرت قرطاجة طريقة تجنيدها في الجيش منذ مطلع القرن الرابع قبل الميلاد، بعد أن فقدت فيلقا من نبلائها في معركة بصلقية، لذلك امتنعت عن تجنيد المواطنين في الجيوش القرطاجية فيما وراء البحر³⁷، وباتت تعتمد على جنسيات مختلفة، ومن بين تلك الشعوب نذكر النوميدي الذين كانوا يجندون كمرتزقة وهم الجنديين المرتبطين بعقد عمل مع قرطاجة، وينتهي عقدهم بنهاية الحرب التي انخرطوا من أجلها، ويتدربون على يد قائد يحارب في الأرض المجاورة أو في نفس المنطقة التي ينتمون لها، مع موافقة السلطات المحلية على ذلك³⁸، وكرعايا (Les Sujets) وهم المولودين في المناطق القريبة من العاصمة أو في التراب الذي تملكه قرطاجة، وكان تجنيدهم يتم كضريبة³⁹، وقد طبقت عليهم الصرامة في التجنيد، وعرفوا بالقوة والرشاقة وشدة التحمل⁴⁰. أما الحلفاء⁴¹ (Les Alliés) وهم الذين يقدمهم امراءهم بصفة رسمية وإن كان جلهم من الاتباع، وكانوا يحصلون على الجراية المالية كإعانات مالية تختلف من منطقة لأخرى⁴².

وقد جاء ذكر عدة تحالفات مع قرطاجة مثل التعزيزات التي تلقته من "اليبيين" بعد أن نقل "أغاتوكليس"⁴³ الحرب إلى شمال إفريقيا⁴⁴، كما استنجد "هملكار"⁴⁵ القرطاجي ببعض الأمراء النوميدي لإخماد ثورة النوميدي والمرتزقة التي اعقبت الحرب البونية الأولى (264-241 ق.م)، منهم أحد أفراد البيت الماسيلي "نارافاس" (Naravas)⁴⁶ الذي كان يسيطر على الأراضي المجاورة لقرطاجة⁴⁷.

وقد عُرف النوميديون في الجيش القرطاجي ببراعتهم في امتطاء الحصنة السريعة، وقد كان لهم دور هام في جيش "حنبل"⁴⁸ ووصل عدد الفرسان النوميدي إلى ربع القوات⁴⁹، ويؤكد ذلك أن أهم العناصر في الجيش القرطاجي كانت تأتي من نوميديا، وكان المشاة الليبيون يمثلون العمود الفقري للقوات في إسبانيا⁵⁰.

ب. تحالف الملوك مع طرفي الصراع:

حاولت قرطاجة كسب ودّ الملوك المحليين من أجل التفرغ لحربها ضد روما، كما لجأت هذه الأخيرة للتحالف مع القوى المجاورة لقرطاجة لتأمين الجبهة في الداخل، ومن هذه التحالفات نذكر:

ب.1. هملكار ونارافاس النوميدي:

بعد انهزام قرطاجة في الحرب البونيقية الاولى وخسارتها لصقلية، ثار الجند المرتزقة عليها لأنها لم تستطع دفع أجورهم، كما ثار النوميديون واجتمعوا تحت لواء القائدين "ماتو" (Matho)⁵¹ وسبنديوس (Spendius)⁵²، وقد استنجد "هملكار" ببعض الأمراء النوميد للسيطرة على الموقف العسكري وإخماد ثورة النوميدي والمرتزقة (241-237 ق.م)، ومنهم الامير "نارافاس"⁵³.

ويذكر "بوليبوس" ان "هملكار" وعد "نارافاس" بتزويجه من ابنته مقابل وفائه لقرطاجة، لذلك زوّدها بـ 2000 من الفرسان⁵⁴، ويعقب مُجدّ العربي عقون على قضية المصاهرة بأنها تدخل ضمن الصفقات التجارية التي كان يبرمها حكام قرطاجة لضمان نفوذهم في المملكة النوميديّة، ضف الى ذلك الفائدة الكبيرة التي عادت على "هملكار" من تحالفه مع "نارافاس" الذي بات الساعد القوي له، فلا ريب أن الانتصار حُسم بعد التحاق "نارافاس" بالمعسكر القرطاجي، فقد انهزم الثائرون تاركين ورائهم 10 آلاف قتيل و4 آلاف أسير، واسترجع "هملكار" تفوقه ضد المرتزقة⁵⁵.

ب.2. "ماسينيسا" وقرطاجة:

عرفت العلاقات القرطاجية النوميديّة اضطرابات بحكم خلافات الجوار؛ ولأنها كانت تحضّر لحربها في اسبانيا لم يكن بمقدورها فتح جبهة جديدة للصراع فرضخت لمطالب نوميديا الشرقية وتحالفت مع "غايا" على مبدأ حسن الجوار⁵⁶، وقَدّم المساعدات لها في حربها في شبه الجزيرة الايبيرية في 212 ق.م، وكانت جبهة القتال في كل من اسبانيا وإيطاليا في البداية لصالح "حنبل"⁵⁷، وكان للنوميدي دور بارز فيها، فقد حارب "ماسينيسا" إلى جانب قرطاجة في إسبانيا

منذ 212 ق.م⁵⁸، ولكنه شاهد انقلاب الكفة لصالح الرومان بعد توالي هزائم قرطاجة في إسبانيا فيما بعد، ففكر في التخلي عنها ومحالفة الرومان عقب معركة "بيقول" (Baecula) وبدأ "سكيبو"⁵⁹ في استمالة "ماسينيسا" بإقدامه على إطلاق سراح ابن أخيه "مسيوا" (Massiva)⁶⁰، وقد تزامنت كل هذه الاحداث مع مشكلة وراثة العرش النوميدي التي سآتي على ذكرها لاحقا.

ب.3. "سيفاكس"⁶¹ وروما:

في الوقت الذي خاض فيه "هملكار" حملته على اسبانيا لإخضاع سكانها، كانت روما في نفس الوقت تفكر في استمالة الملك "سيفاكس" لأنها كانت تهدف إلى تأمين خط الرجعة امام الجيوش القرطاجية وحماية ظهرها، وضمان إمدادها من أقرب الطرق، وذلك لا يتأتى إلا من خلال مملكة "سيفاكس"⁶² كما أن روما أرادت الاستفادة من الخلاف الذي كان بين الممالك وبين قرطاجة فعملت على استمالته ونجحت في ذلك فحالف سيفاكس روما في 213 ق.م، وفي المقابل اشترط عليها ارسال قادة عسكريين لتدريب النوميدي على اساليب القتال⁶³، وبذلك قاد "سيفاكس" جيشاً إلى اسبانيا ليشترك في الحرب الدائرة هناك إلى جانب الرومان⁶⁴، غير أن تحالف "سيفاكس" مع روما لم يدم طويلا بزواجه من الملكة القرطاجية "صوفونيزبة" (Sohponisbe) ابنة "صدر بعل بن جيسكون"⁶⁵، التي قيل انها أثرت في مواقف زوجها وتمكنت من استمالته إلى جانب قرطاجة، وقد ظهر نشاطه العسكري ميدانيا في نوميديا إثر وفاة الملك "غايا"⁶⁶.

ب.4. "سيفاكس" ومؤتمر "سيقا" (206 ق.م):

أقام "سيفاكس" مؤتمر "سيقا" (Siga) (على وادي التافنة) كمحاولة منه للتقريب بين القرطاجيين والرومان وإيجاد حل دون خوض الحرب، وحضره "سكيبو" و"صدر بعل"، وتفاوض الثلاثة في شؤون إنهاء الحرب الدائرة بين روما وقرطاجة، ولكن "سكيبو" صرّح بأنه لا يكن عداوة شخصية لـ"صدر بعل"، ولكنه لا يمكنه الرد لأن القضية من صلاحيات مجلس الشيوخ الروماني، ولم يصل الأطراف الى حل، ولكن "سيفاكس" أدرك خطورة الحرب على بلاد المغرب⁶⁷.

بعد لقاء "سيقا" قام "صدر بعل" بزيارة ثانية للملك "سيفاكس" وتمكن من كسب وده الى جانب قرطاجة، وزوجه من ابنته، وتحالف معه على الصداقة والعداء المشترك، ويذكر "تيت ليف" أن "سيفاكس" قد ضرب تحالفه مع "سكيبو" عرض الحائط، وقد أرسل "سيفاكس" الى "سكيبو" في صقلية يحذره أنه في حال نقل الجيش إلى إفريقيا فإنه سيدافع على إفريقيا إلى جانب قرطاجة⁶⁸.

ب.5. مشكلة وراثة العرش النوميدي:

ظهرت مشكلة وراثة العرش بعد حرمان "ماسينيسا" من عرش أجداده، فب وفاة "غايا" والد ماسينيسا حكم عمه "اوزلاس" (Oezalacen)، وبعد وفاته خلفه ابنه "كابوسا" (Capussa) الأكبر سناً من "ماسينيسا"، وكان له ابن آخر مجرد صبي اسمه "لاكوماز" (Lacumez) ودبرت قرطاجة انقلاباً بتدخل الأمير الماسيلي "مازيتول" (Mazaetulus) لتنصيب "لاكوماز" (ابنة اخت "حنبل")، بدل "ماسينيسا" الأكبر سناً منه، ونظراً لصغر سن "لاكوماز" تزوج "مازيتول" من ارملة "اوزلاس" ليكون وصياً على العرش⁶⁹، وبذلك حرم ماسينيسا من عرش أجداده وهو الاحق به وفق التقليد المعروف في وراثة العرش، وعلى إثر ذلك توسع "سيفاكس" على حساب مملكة الماسيل باتفاق مع القرطاجيين⁷⁰.

ب.6. تحول مواقف الملوك المحليين:

رأى "ماسينيسا" الذي كان ناقماً على قرطاجة قرب هزيمتها في اسبانيا، وذلك كان بسقوط "قادس" التي عجز القائد "ماغون" أخ "حنبل" من صدّ هجمات الرومان عليها في عام 206 ق.م⁷¹، وبلقاء "ماسينيسا" بقائد الجيش الروماني "سكيبو" في مدينة "طراقونا" واقتناعه بإمكانية الحصول على العرش بدون الخضوع للتقاليد التي كانت سارية المفعول قبلاً⁷²، وأشار "ماسينيسا" لـ "سكيبو" بنقل الحرب إلى شمال إفريقيا خاصة وأن "سكيبو" كان مقتنعاً ألا يقع في غلطة "أغاتوكليس" ويؤمن الحليف الذي يساعده في منطقة هو اعلم بحباياها إذا ما نقل الحرب إلى شمال إفريقيا⁷³، ويذكر "تيت ليف" أن "ماسينيسا" تقرب من "سكيبو" وعرض خدماته عليه رداً

للجميل لأن "سكيبو" أطلق سراح "مسيوا" ابن عمه "ماسينيسا" الذي كان أسيراً⁷⁴، في حين وقع "سيفاكس" بالمقابل اتفاقية تحالف مع قرطاجة وأرسل في 204 ق.م إلى "سكيبو" الذي كان يعسكر في "سرقوسة" في صقلية بأنه إذا هاجم شمال افريقيا فهو وجيشه المازيسيلي سيحارب إلى جانب قرطاجة دفاعاً على أراضي افريقيا⁷⁵.

الخاتمة:

مما سبق يمكن الإشارة الى عدة نقاط تعلقنت بنتائج وتداعيات الصراع القرطاجي الروماني على المغرب والنوميد كجزء منه ندرجها فيما يأتي:

- ساهم النوميد في الصراع القرطاجي الروماني كمجندين في الجيش إما مرتزقة مقابل أجر أو كرعايا من الاراضي التابعة لقرطاجة أو كحلفاء بحكم عهود حسن الجوار التي عقدتها قرطاجة مع الملوك النوميد.

- كانت مساهمة النوميد في الصراع نتيجة التحالفات التي ابرمها سواء مع قرطاجة أو مع روما، وقد كانت لهم اسهامات كبيرة غيرت موازين القوى مثل مساهمة ماسينيسا وفكرة نقل الحرب الى افريقيا، ومعركة السهول الكبرى التي ازاح على إثرها سيفاكس حليف قرطاجة وبالتالي رجحت الكفة لصالح روما، واستراتيجيته في معركة زاما والتخلص من الفيلة الذين يمثلون دبابة الحرب في جيش حنبعل في ذلك الوقت.

- تأثر المغرب بالحروب البونيقية حيث كانت اراضيه مسرحاً للأحداث فنزول الجيوش لمحاصرة قرطاجة والمدن القرطاجية كان يبدأ من الاراضي النوميدية، كما كانت قرطاجة تزحف على حساب الاراضي النوميدية بعد خسارتها في الحرب مثل ما حدث في الحرب البونية الاولى، أو أن تفرض على المدن النوميدية الخاضعة لها ضرائب باهظة، بالإضافة إلى المدن التي شهدت معارك بين القرطاجيين والرومان مثل معركة زاما ومعركة السهول الكبرى.

- كان للحروب البونيقية تداعيات بعيدة المدى مثل الحرب البونيقية الثانية التي سمحت بنود استسلامها لماسينيسا باسترجاع اراضي اجداده فكاد أن يقضي على قرطاجة لولا أن قطعت عليه

روما بإعلانها الحرب الثالثة التي قضت بموجبها على قرطاجة وبالتالي وضعت أرجلها بالمغرب وكانت بداية مرحلة الاحتلال التدريجي للمنطقة واتسمت فترة الاحتلال الروماني برومنة بلاد المغرب وإعلانه كملكية عامة للشعب الروماني.

المصادر والمراجع:

1. شنييتي مُحمَّد البشير، الجزائر قراءة في جذور التاريخ وشواهد الحضارة، دار الهدى، الجزائر، 2013.
2. شنييتي مُحمَّد البشير، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146 ق.م/ 40 م)، المؤسسة الوطنية للكتاب، (د.ت).
3. حارش مُحمَّد الهادي، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الاسلامي، دار هومة، الجزائر، 2014.
4. حارش مُحمَّد الهادي، التطور السياسي والاقتصادي في نوמידيا منذ اعتلاء ماسينيسا العرش الى وفاة يوبا الأول 203-46 ق.م، دار هومة، الجزائر، 2014.
5. غانم مُحمَّد الصغير، المملكة النوميديّة والحضارة البونية، دار الهدى، الجزائر، 2006.
6. السليمانى أحمد حسين، تاريخ ملوك البربر في الجزائر القديمة، ط2، دار القصبة، الجزائر، 2017.
7. Tite Live, Histoire Romaine, trad: Victor Verger et des autre, C.L.F Panckoucke, Paris
8. Polybius, The Histories of Polybius, trad: Evelyn. S & Shuckerburgh. M. A, Vol II, Macmillan and co, London, 1889.
9. Salluste, Guerre de Jugurtha, trad. Charles Durosoir, Librairie Garnier Frères, Paris, (s.d).
10. P. F.de Callonne et Amédée Pommier, Les Vies de Cornelius Nepos, C. L. F. Panckoucke, Paris.
11. Francois Decret et Mohamed Fantar, L'Afrique du Nord dans L'Antiquité des Origines au V^e Siècle, Payot, Paris, 1981.
12. André Berthier, La Numidie Rome et le Maghreb, Picard, Paris, 1981.

13. Yanne le BOHEC, Histoire Militaire des Guerres Puniques 264- 146 Av J.C, Rocher Edition, Monaco, 2010

الهوامش:

¹-Polybe, Histoire Romaine, trad : Denis Roussel, éd. Gallimard, bibliothèque de la Pléiade, Paris, 1970, I, 29.

²-مُجدّ البشير شنيقي، اضاء على تاريخ الجزائر القديم بحوث ودراسات، دار الحكمة، الجزائر، 2003، ص ص 171-173.

³- Yanne le BOHEC, Histoire Militaire des Guerres Puniques 264- 146 Av J.C, Rocher Edition, Monaco, 2010, p87.

⁴- مُجدّ الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الاسلامي، دار هومة، الجزائر، 2014، ص 51.

⁵- مُجدّ الصغير غانم، المملكة النوميديّة والحضارة البونية، دار الهدى، الجزائر، 2006، ص 36.

⁶- مُجدّ الهادي حارش، المرجع السابق، ص 51.

⁷-Yanne le BOHEC, op. Cit, p105.

⁸- Ibid, p107, 108.

⁹- مُجدّ الصغير غانم، المرجع السابق، ص 36، 37.

¹⁰- أوتيكا (Utique): من أقدم المستوطنات الفينيقية تأسست في 1101 ق.م في السهول وسط شمال تونس، تقع على مصب نهر مجردة. أنظر: عبد المنعم المحجوب، ليبيا القديمة، دار الاتحاد للنشر والتوزيع، تونس، 2018، ص 24.

¹¹- ماسينيسا (Massinissa): ولد سنة 238 ق.م، وتوفي في سنة 148 ق.م، كان زعيما لقبيلة الماسيل كانت عاصمة مملكته سرتا (قسنطينة حاليا)، كان طموحا حالف الرومان وساهم في انتصارهم على قرطاجنة. أنظر: عبد المنعم محجوب، المرجع السابق، ص 327، 328.

¹²- Tite Live, Histoire Romaine, Tome Onzième, Livre XXVI- XXIX, Trad: N. A. DUBOIS, Imprimerie C.L.F PANCKOUCKE, Paris, 1834, XXIX, p437.

¹³- حسن بلعيد، حنبعل والحرب البونية الثانية (218-201 ق.م)، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر 2، 2012 / 2013، ص 98.

¹⁴- سلايكا (Salaeca): ربما هي مدينة لوشا (Locha) التي أشار إليها ايبانوس، وهي تقع على بعد 23 كم غربي أوتيكا. أنظر: ذهبية سي الهادي، الممالك النوميديّة بين قرطاجنة وروما من نهاية القرن الثالث ق.م إلى القرن الأول ق.م (دراسة سياسية وعسكرية)، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر 2، 2012 / 2013، ص 86.

¹⁵- Tite Live, loc. Cit, XXXIV, pp453- 455.

¹⁶- ذهبية سي الهادي، المرجع السابق، ص 86.

¹⁷- Tite Live, Loc. Cit, XXXIV, p455.

¹⁸- Polybe, Livre XIV, 4, 7-10.

¹⁹ - Ibid, 6, 3.

²⁰ - Polybe, Livre XIV, 2, 3.

²¹ - حضرموت (Hadromite): هي نفسها سوسة واسمها الاغريقي ابولونيا، تأسست لتكون ميناء لمدينة قورينة، ثم استقلت عن مدينة قورينة وازدهرت في القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد. أنظر: عبد المنعم المحجوب، المرجع السابق، ص20.

²² - محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص58.

²³ - أحمد حسين السليماني، تاريخ ملوك البربر في الجزائر القديمة، ط2، دار القصبة، الجزائر، 2017، ص88، 89.

²⁴ - محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص50.

²⁵ - محمد الهادي حارش، التطور السياسي والاقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء ماسينيسا العرش الى وفاة يوبا الأول 203-46 ق.م، دار هومة، الجزائر، 2014، ص20.

²⁶ - André Berthier, La Numidie Rome et le Maghreb, Picard, Paris, 1981, p41, 42.

²⁷ - محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص63، 64.

²⁸ - Francois Decret et Mohamed Fantar, L'Afrique du Nord dans L'Antiquité des Origines au V^e Siècle, Payot, Paris, 1981, p105.

²⁹ - زاما (Zama): تقع جنوب قرطاج (سيدي يوسف الحالية)، على نهر مجردة. أنظر: عبد المنعم محجوب، المرجع السابق، ص185.

³⁰ - أحمد حسين السليماني، المرجع السابق، ص107.

³¹ - للمزيد حول بنود معاهدة زاما أنظر: Polybe, Loc. cit, II, XV, 18

³² - محمد البشير شنيقي، الجزائر قراءة في جذور التاريخ وشواهد الحضارة، دار الهدى، الجزائر، 2013، ص182-187.

³³ - أبو بكر سرحان، "الحروب البونيقية بين روما وقرطاجة (264-146 ق.م) اسبابها- أحداثها- نتائجها وموقف الممالك الاهلية المغربية منها"، مجلة الدراسات الافريقية، العدد 35، 2013، ص112.

³⁴ - محمد الهادي حارش، (التاريخ المغاربي...)، المرجع السابق، ص58، 59.

³⁵ - محمد الهادي حارش، (التطور السياسي...)، المرجع السابق، ص29، 30.

³⁶ - محمد البشير شنيقي، نوميديا وروما الإمبراطورية تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، 2012، صص 20-24.

³⁷ - Stéphane Gzell, Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord, Tome II, Hachette, Paris, 1920, p346.

³⁸ - Ibid, p354, 355.

³⁹ - Stéphane Gzell, Op. Cit, p354.

⁴⁰ - Ouiza Ait Amara, Les Soldats d'Annibal, édition Maison Barnéoud, France, 2009, p12, 13.

⁴¹ - Ibid, p13.

⁴² - Stéphane Gzell, Op. Cit, p354, 355.

⁴³ - اغاتوكليس (Agatocles): حاكم سرقوسة الاغريقية، نقل الحرب الى شمال افريقيا في 310 ق.م. أنظر: عبد المنعم المحجوب، المرجع السابق، ص48.

⁴⁴ - Diodore de Sicile, Bibliothèque Historique, trad: A. F. Miot, Paris, 1934, XX, 18.

⁴⁵ - هملكار (Hamilcar): ولد سنة 275 ق.م، هو والد حنبعل وماغون وصدر بعل، تولى القيادة شابا سنة 247 ق.م، توفي غرقا في 228 ق.م في أحد الانهار في ايبيريا، بالإضافة إلى ابناءه من الذكور ترك ثلاث بنات: زوجة بوملقار والدة حنون بوملقار،

والثانية زوجة صدر بعل العادل الذي تولى قيادة الجيوش بعده، والثالثة زوجة نارافاس حليفه النوميدي. أنظر: عبد المنعم المحجوب، المرجع السابق، ص 374، 375.

⁴⁶ - نارافاس (Naravas): قائد نوميدي ساعد هملكار في حرب المرتزقة تزوج من ابنته. أنظر: نفسه، ص 357.

⁴⁷ - مُجّد البشير شنيقي، (أضواء...)، المرجع السابق، ص 36، 37.

⁴⁸ - حنبعل (Hannibal): قائد قرطاجي من عائلة آل برقة والده هملكار القائد الذي لطالما حارب روما. أنظر:

Gilbert Charles Picard, Hannibal, Hachette, Paris, 1967, p13,14.

⁴⁹ - مادلين هورس ميادان، تاريخ قرطاج، تر: ابراهيم بالش، منشورات عويدات، بيروت، 1981، ص 80.

⁵⁰ - مُجّد اسد الله صفا، هانيبال، دار النفائس، بيروت، 1987، ص 39.

⁵¹ - ماتو (Matho): قائد نوميدي يمتاز بالشجاعة والجرأة كان أحد القادة في الجيش القرطاجي، قاد ثورة ضد قرطاجة تزامنا مع ثورة الجند المرتزقة بعد الحرب البونيقية الأولى في 237 ق.م، استقطب الأهالي الريفيين وسكان المدن النوميديّة فضلا عن الجنود المتمردين، وجمع التبرعات حتى من النساء، وجمع حوالي 70000 مقاتل. أنظر: مُجّد البشير شنيقي، دراسات في التاريخ والاثار القديمة بالجزائر وبلاد المغرب، كنوز المعرفة، الجزائر، 2018، ص 153.

⁵² - مُجّد العربي عقون، "من تداعيات الحرب البونية الأولى على قرطاج ثورة جندها المأجور (241-237 ق.م)"، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 21، جوان 2004، ص 201.

⁵³ - مُجّد البشير شنيقي، (أضواء...)، المرجع السابق، ص 36، 37.

⁵⁴ - Polybe, Loc. Cit, I, 2, 78.

⁵⁵ - مُجّد العربي عقون، المرجع السابق، ص 204، 205.

⁵⁶ - مُجّد البشير شنيقي، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146 ق.م / 40م)، المؤسسة الوطنية للكتاب، (د.ت)، ص ص 22-24.

⁵⁷ - خاض "حنبعل" مع ابيه "هملكار" حروبا في اسبانيا لمدة سبع سنوات ولكن بوفاة والده وصهره "صدر بعل" تولى حنبعل قيادة الجيوش مع أخيه "صدر بعل"، وكانت له منجزات في إسبانيا وإيطاليا. أنظر:

P. F.de Callonne et Amédée Pommier, Les Vies de Cornelius Nepos, C. L. F. Panckoucke, Paris, II, 471.

⁵⁸ - مُجّد البشير شنيقي، (الاحتلال...)، المرجع السابق، ص 23.

⁵⁹ - سكيبو الافريقي (Publius Cornelius Scipion Africanus) (183-235 ق.م)، سمي بالافريقي نسبة إلى حروبه في افريقيا، كان أبوه قائدا حريبا من الاشراف، اتهم بالفساد فغادر روما الى منطقة ريفية في كمبانيا ابن قضى بقية عمره توفي عن عمر 52 سنة. أنظر: مُجّد العربي عقون، "ماسينيسا من استعادة حقه في العرش الماسيلي إلى بناء الوحدة النوميديّة 238-148 ق.م"، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 22، جوان 2010، ص 94.

⁶⁰ - ذهبية سي الهادي، المرجع السابق، ص 41.

⁶¹ - سيفاكس (Syphax): ملك نوميدي من قبائل المازيسيل، أصبح حليف روما 213 ق.م، وبعدها أصبح حليف قرطاجة إلى غاية نهاية الحرب البونية الثانية، كان عدو ماسينيسا واب فرمينيا الذي تولى القيادة بعده وحالف قرطاجة بعد هزيمة ابيه في معركة السهول الكبرى (203 ق.م)، توفي في السجن في إيطاليا. أنظر:

Ouiza Ait Amara, Op. Cit, p76.

⁶² - مُجَدِّد البشير شنيقي، (الاحتلال...)، المرجع السابق، ص 22-24.

⁶³ - بلعيد حسن، المرجع السابق، ص 76.

⁶⁴ - Francois Decret et Mohamed Fantar, Op. cit, p90.

⁶⁵ - صدر بعل بن جيسكون: لقب بالأصلع وهو قائد قرطاجي كان منافسا لأسرة برقة، حليف سيفاكس ملك نوميديا وصهره، حارب الرومان هزمه سكيبيو في اوتيكا فأدانه مجلس الشيوخ في قرطاج. أنظر: عبد المنعم المحجوب، المرجع السابق، ص 40.

⁶⁶ - مُجَدِّد البشير شنيقي، (الجزائر...)، المرجع السابق، ص 180.

⁶⁷ - نفسه، ص 88، 89.

⁶⁸ - Tite Live, loc. Cit, XXIII, p 415- 417.

⁶⁹ - Tite Live, loc. Cit, XXIX, pp433- 437.

⁷⁰ - مُجَدِّد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 57.

⁷¹ - مُجَدِّد البشير شنيقي، (الجزائر...)، المرجع السابق، ص 178.

⁷² - مُجَدِّد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 57.

⁷³ - Francois Decret et Mohamed Fantar, Op. Cit, p103.

⁷⁴ - مُجَدِّد الهادي حارش، (التطور السياسي...)، المرجع السابق، ص 16.

⁷⁵ - Tite Live, Loc. Cit, XXIII, p417.

